البخت او الطالع

(معرّبة بتصرف عن مقالة للاستاذ كلر الاميركي من اساتذة جامعة نيوهايفن في ولاية كونكتكت)

اهمّ ما يهمّ الحياة الانسانية على هذه الارض المطابقة بينها وبين الاحوال المحيطة بها. فقد وجد الناس انفسهم تحيط بهم انواع متعددة من هذه الاحوال فتصرفوا فيها تصرفاً خاصاً من الوجهة العقلية والاجتماعية فكانت لهم حضارات مختلفة باختلاف ذلك التصرف في حين ان النباتات والحيوانات الاخرى لم تكن مطلقة التصرف بل اكرهت على تغيير ابنيتها تغييراً تنوّعت بموجبه الى انواع واجناس

وهذه الظروف والاحوال تشمل المحيط او الوسط الطبيعي كالاقليم ومجموع النبات والحيوان. والمحيط او الوسط الاجتماعي اي الناس الذين نعيش بين ظهرانيهم. والمحيط او الوسط الخيالي من الجنّ والارواح. والمطابقة بين المعيشة وهذه الاحوال انما تكون بالطرق التي اعتدناها او وصلت الينا بالتقليد او الارث عن اجدادنا ومنها نشأت انظمة الاجتماع شيئاً فشيئاً

وهناك حالة اخرى غير الاحوال السالفة الذكر وهي حالة اقل شأناً منها ولكن الانسان في بداوته الاولى اضطر ان يحسبها جزءا من حياته الارضية وان يطابق بينها وبين معيشته. وهذه الحالة هي ما يسمى بالبخت او الطالع. فان الناس يجدون احياناً كثيرة ان اعمالهم ونتائجها غير متناسبة اي ان نتائج تلك الاعمال ليست على نسبة الاعمال نفسها. يخرج زيد اليوم في طلب القنص فيصيب صيداً كثيراً ويخرج غداً فلا يصيب شيئاً فيحمد في الحالة الاولى بخته ويندب في الثانية سوء طالعه. وتصطدم باخرة في البحر بجبل من الجليد فتغرق عن فيها كما جرى للباخرة تيتانك منذ ست سنوات فيتحدث الناس بسوء طالعها وطالع ركابها. وتمسّ باخرة اخرى صخراً مخبوءاً تحت الماء مسّاً خفيفاً فلا تصاب بأذى وتسلم هي ومن فيها بمثل الاعجوبة ولولا قليل لاصطدمت بالصخر وذهبت طعم الحيتان فتترطب الالسنة بذكر حسن طالعها وطالع من فيها. وقس على ذلك امثلة كثيرة

فللطالع شأن كبير في حياة كل انسان فكم عمّر من بيت وكم خرب . وقد كان اعظم شأناً في عهد بداوة الانسان الاولى ايام كان الناس كأنهم عائشون على طرف هذا الوجود — اقلّ سوء بخت يصيبهم يدفعهم الى الحضيض. ولطالما ارتجى الناس البخت وخافوهُ معاً — ارتجوهُ رغبةً في ان ينيلهم شيئاً مقابل لا شيء وخافوهُ رهبة من ان يخرجوا صفر الاكفّ بعد بذل النفس والنفيس

ولنبحث الآن في ماهية البخت فنقول . ان العلم الحديث ينكر البخت بمعنى كونهِ نتيجة بلا سبب كافٍ ويقول ان لا شيء يصحُّ القول فيهِ انهُ اوشك ان يحدث ولكنهُ لم يحدث لسوء الطالع وان اقرب الحوادث الى الصدفة والاتفاق يمكن تعليلهُ تمام التعليل لو كانت معرفتنا تامة. فان الباخرة التي غرقت بالاصطدام كما مرت الاشارة اليهِ انما بلغت مكان الاصطدام باجتماع عوامل مختلفة من قوة البخار ومساعدة الرياح او معارضتها ومزاج الربان وغير ذلك. ونتيجة كل من هذه العوامل يمكن الانباء بها تماماً لو كان علمنا تامًّا . فالاصطدام كان لذلك ضمن مجرى الحوادث الطبيعي فلم يكن ثمة اعجوبة او سحر ساحر . والمسئلة كلها مسئلة علم واستنتاج. وعليهِ فلا مجال للبخت اذا كان العلم تامًّا. وكلما زاد العلم قلّ التعليل بالبخت

فالبخت اسم لما لا نستطيع تعليلهُ ضمن حدود معرفتنا او لا نريد الحصول على تلك المعرفة وتطبيقها عليهِ . فنحن بازائهِ اما جهلة او ضعاف الهمة والعزم. واهميتهُ تتغير بتغير المعرفة كما تقدم القول فكلما زادت المعرفة قلت اهميتهُ وكلما قلت زادت اهميتهُ. ولما كان نطاق ما يمكن معرفتهُ واسعاً جدًّا فسيبقى البخت على الدوام عاملاً قويًّا في تعيين مصير الانسان على هذه الارض

ونحن في معاملاتنا المادية نعترف بما بين البخت والمعرفة من العلاقة . فاذا سمعنا رجلاً يندب سوء حظهِ فكثيراً ما يقودنا البحث على ما جرى لهُ الى درس مسئلتهِ وكثيراً ما نجد ان ما جرى لهُ نتيجة سوء تدبير لا سوء طالع . وتراناً نفرّق من هذا النظر بين الولد الصغير القليل الخبرة وبين الرجل البالغ الذي هو اوسع خبرة منهُ . فاذا حرق طفل يدهُ بالنار عطفنا علينا في سوء بختهِ هذا لانهُ لم يكن يعلم اكثر مما علم فافضى بهِ جهلهُ هذا الى حرق يده . ولكن اذا اصيب رجل بالغ بما اصيب بهِ الطفل قلنا لهُ شامتين « انك تستحق ذلك لانك تعلم

ان القرب من النار مضرٌّ او كان يجب ان تعلم ذلك » وغير هذا من اقوال التعنيف والتوبيخ

والرجل الوحشي مثل الطفل في معرفته ومعرفتهُ قليلة محدودة اذا خرجت عن دائرة اختباره . ودائرة المعلوم عنده محدودة ضيقة جدًّا ودائرة المجهول واسعة جدًّا . اضف الى ذلك ان سوء الطالع الذي يصيبهُ اعظم شأنًا في عينهِ بكثير مما هو في عين الرجل المتمدن تعلم شدَّة اهتمامهِ بامر طالعهِ . فهو عندهُ احد اركان الحياة الدنيا فيطبّق معيشتهُ عليهِ ويعلق بهِ شؤونهُ الاجتماعية

وقد ورث الانسان المتمدن عن اجدادهِ الاولين غريزة طلب السلامة من الكوارث وتمثلت فيهِ هذه الغريزة بصورة « التأمين » على الحياة . فان التأمين على الحياة كما تعرفهُ شركات التأمين لا يقلل شيئًا من الخسارة ولكنهُ يوزعها ليسهل حملها . ويعرّض الانسان نفسهُ فيهِ لخسارة صغيرة بما يدفعهُ سنويًّا ليتجو من خسارة قد تكون طامة عليهِ . ولطالما سعى الانسان في العصور السالفة للتأمين على نفسهِ بصورة من الصور غير صورة التأمين المعروف اليوم ولكنها كانت اقلّ اتقانًا مما هي الآن ولم يكن ينتظر منهُ افضل منها

وربَّ قائل يقول ان حسن الطالع ونكد الطالع متساويان في هذه الدنيا وان ليس من اصالة الرأي في شيء القلق على مصيرنا في دنيانا والتحوط لهُ بمثل هذه الهمة وهذه الغيرة . هذا ما يقولهُ المتغائل بالخير الذي يولي وجههُ شطر الجهة المنيرة من هذه العيشة دون الجهة المظلمة والذي يرى هذا العالم احسن العالمين وينظر الى احسن ما في هذا الاحسن . نعم ان الناس مختلفون رأيًا في ذلك ولكن لا مشاحة في ان الطبيعة الانسانية تحسب حسن الطالع امرًا طبيعيًّا عاديًّا او الاصل كما يقول اهل القانون فتحصر همها في سوء الطالع لانهُ في زعمها عارض طارئ . فالصحة الكاملة ليست امرًا طبيعيًّا ولكننا نفرض انها كذلك فاذا دهمنا مرض رأيتنا نشكو ونتململ حسبان انهُ سوء طالع . والشيخوخة تجرُّ معها ذيولاً من الاسقام والاوصاب وهي لازمة عنها لا مفرَّ منها ولكننا نأبى ان نحسب ايام السرور من حسن الطالع ونحسب ايام الهموم من نكد الطالع

واذا ذكرنا المكاره الكثيرة التي كانت تحفُّ بالناس قبل بناء سور الحضارة الحالية ليدرأ عنهم بعضها لم ندهش لرجحان الاهتمام باجتناب الغرم على الاهتمام

بجرّ الغنم . ولا تدرك هذه الفكرة تمام الادراك الاّ اذا وضعنا انفسنا في موضع الرجل الوحشي الاول. ولكن كلاً منا يستطيع فهم بعض موقفهِ متى عرف ان شغلهُ الشاغل كان تنازع البقاء. وليس منّا من يشغلهُ هذا الامر فاننا نسعى الى غرض هو ان يكون لنا مقياس معيَّن لمعيشة فاذا اخفقنا دون بلوغهِ فان البقاء يبقى مضموناً لنا بفضل الهيئة الاجتماعية التي نعيش في كنفها . ولكن اجدادنا الاولين كانوا خائفين وهم متصلون اتصالاً مباشراً بالمحيط الذي يكتنفهم وهو محيط مشبعٌ بالمخاطر الهائلة . وعليهِ كانوا من خوف الموت في شرّ من الموت . ومثلهم الرجل الوحشي المعاصر لنا

الاسكربوط وعصير الليمون

واكتشاف طي سهم

الاسكربوط مرض وبيل عُرف في اوربا من قديم الزمان ولعلهُ كان معروفاً في الشرق باعراضهِ التي تصيب الفم والانف وغيرهما من الاعضاء ولكن ما يقع فيهما لم يكن ينسب الى داء مخصوص . وقد كان يصيب البحّارة اذا اوغلوا في البحار وسكان المدن المحاصَرة اذا انقطع عنها الطعام من المزارع والجنود اذا طال قيامهم في المعسكرات . فيبتدىء بضعف القوى وضيق النفس ويتلوها الغم الشديد فيكلح الوجه ويتقع وبعد بضعة اسابيع يبلغ الضعف اشدّهُ وتحمرُّ اللثة وتتقرَّح ويسيل منها الدم وتتقلقل الاسنان وتقع وتظهر على الجلد بقع قرمزية وتظهر قروح في الاطراف ويفرز من الجسم مفرزات دامية ويتلو ذلك سبات عميق ويموت المصاب من علة في رئتيهِ او كليتيهِ او قناتهِ الهضمية

وقد عُرف من قديم الزمان ان للطعام علاقة بهذا الداء وانهُ اذا اصاب واحداً في سفينة او مدينة محصورة او معسكر فكل الذين في السفينة او المدينة او المعسكر صاروا عرضة لهُ فيفشو فيهم بعد ايام قليلة لان طعامهم من نوع واحد . وكثيراً ما كان يموت بهِ نصف بحارة السفينة او ثلثاهم قبلما تصل الى مرفإٍ تجد فيهِ طعاماً صالحاً

وقد علم منذ ثلثمائة سنة ان الخضر الطرية وعصير الاثمار تشفي من هذا الداء